

دَلالة نصوص الاستعاذة
على توحيد الألوهية

بحث مستلّ من رسالة ماجستير بعنوان:
نصوص الاستعاذة ودلالتها العقدية
(دراسة تحليلية)

الباحثة

أسماء أحمد صالح الدهش



دَلالة نصوص الاستعاذة

على توحيد الألوهية

للباحثة: أسماء أحمد صالح الدهش

جامعة القصيم

كلية الشريعة

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة





دَلالة نصوص الاستعاذة على توحيد الألوهية

- **المطلب الأول**: علاقة نصوص الاستعاذة بتوحيد الألوهية.
- **المطلب الثاني**: دَلالة نصوص الاستعاذة على العبادات القلبية.
- **المطلب الثالث:** ثمرات تحقيق توحيد الألوهية من خلال الاستعاذة.



المطلب الأول

علاقة نصوص الاستعاذة بتوحيد الألوهية

توحيد الألوهيَّة هو ثاني أنواع التوحيد الثلاثة، وجميع أنواع التوحيد تتغايَر في المعنى، ويستقِل كلٌّ منها بمفهومه، إلا أنَّ بينَها تلازمًا بالوجود، فتوحيد الربوبيَّة مستلزِم للألوهيَّة، والألوهيَّة متضمِّنة للربوبيَّة وللأسماء والصفات، وقد تبيَّنت العلاقةُ بينَ نصوص الاستعاذة وتوحيد الربوبيَّة، وثبَت له -جلَّ وعلا- الإفراد بأفعال الربوبيَّة كالخلق والرزق والتدبير، وبهذا يأتي تبعًا لها استحقاقُه -سبحانه- للعبادة والتضرُّع والانقياد والاستعاذة؛ إذ لا مستحِقَّ لها غيره.

ومن وسائل عبادته -سبحانه- دعاؤه والالتجاء إليه، والتذلل بينَ يديه، والخوف منه، والتوكُّل عليه، والرجاء منه، وغيرها من العبادات، وكلها تتحقَّق عندما يتوجَّه العبدُ إلى ربه، ويُنزِل بين يديه حاجتَه، ويطلُب منه اللِّياذ والحماية مما قد حلَّ به، أو مما هو مَخوف منه مستقبلًا، "فالعائذ بالله قد هرَبَ مما يؤذيه أو يُهلكه إلى ربه ومالكه، وفرَّ إليه، وألقى نفْسه بين يديه، واعتصَم به، واستجار به، والتجأ إليه، وهذا تمثيلٌ وتفهيمٌ، وإلا فما يقوم بالقلب من الالتجاء إلى الله، والاعتصام به، والاطِّراح بين يدي الرب، والافتقار إليه، والتذلل بينَ يديه، أمرٌ لا تُحيطُ به العبارةُ"[1].

وقد ورَدَت في نصوص الاستعاذة عدَّةُ معانٍ تُبين الارتباط الوثيق بين الاستعاذة وبين إفْراد الرب بالعبادة، وسيأتي بيانُها -إن شاء الله-.

---

[1] تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبد الوهاب، (171).





○ المسألة الأولى: إفراد المستعاذ به وعلاقته بتوحيد الألوهية:

الاستعاذةُ واحدةٌ من العبادات التي يجب صرفُها لله وحدَهَ -جَلَّ وعلا- فيكون هو مَلاذ العبد ومَلجؤه فيما يُلِمُّ به ويُصيبه؛ لذا كان لها الارتباط الوثيق بتوحيد الألوهيَّة، فإنَّ جميع ما يَحلُّ بالعبد في دينه ودُنياه هو مما كتبَه الله له وقدَّره عليه، وهو وحدَه النافع الضار القابض الباسط، فما يُصيب العبد أو يَحلُّ به من تعب، أو نَصَب، أو مرض، ومشقَّة وغيرها، لا رادَّ ولا مانعَ لها إلا الله القادر وحدَه المستحِق للتوسُّل، والتذلُّل، والافتقار.

وقد شرَعَ الله لعباده من القُرُبات ما هو نجاةٌ للعبيد في دينهم ودنياهم، ومانعٌ لهم من الشرور، وجالبٌ للخيرات والأجور، ومن ذلك عبوديَّة (الاستعاذة).

وذمَّ -سبحانه- عاقبةَ مَن أشرك به بصرف الاستعاذة لغيره فيما لا يَقدِر عليه إلا هو فقال: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: 6].

وأمَرَ بالاستعاذة به -سبحانه- فقال: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: 1]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: 1]، فيكون المستعيذُ موحدًا لله مؤمنًا بعظيم قُدرته، وسَعة عِلمه وحُكمه.

وهذا من هَدْي رسول الله ﷺ؛ إذ كان يلجأ إلى ربه، ويستعيذ به وحدَه في كل حالٍ وموطِنٍ.





○المسألة الثانية: دلالات ألوهية الله الواردة في نصوص الاستعاذة:

ورَدَت نصوص الاستعاذة بأساليب عدَّة، ومن أكثرها الدعاءُ بقول: (اللهُمَّ)، وهذا تعبيرٌ عن الألوهيَّة؛ فاللهُمَّ أصلُها (يا الله)، حُذِف حرفُ النداء، وعُوِّضَ عنه بالميم[2].

ومن مواضع الاستعاذة التي وَرَد فيها لفظ (اللهُمَّ) ما جاء في قوله –عليه الصلاة والسلام–: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ"[3]، وقوله: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ"[4]، وقوله: "اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ"[5]، وغيرها.

ومن الأساليب أيضًا الاستعاذة بقول: (أعوذُ بالله)، وقد ورَدَ في قوله –تعالى–: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: 200]، وقوله –عليه الصلاة والسلام–: "أَعُوذُ بِاللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ"[6]، وقوله: "أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ ضِيقِ الْمَقَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[7]، وغيرها مما سيأتي

---

[2] انظُر: الجمل في النحو، للخليل الفراهيدي، تحقيق: فخر الدين قباوة، الطبعة: الخامسة، 1416هـ – 1995م، (136).

[3] البخاري ح/ (6369).

[4] البخاري ح/ (3676).

[5] مسلم ح/ (375).

[6] مسلم ح/ (2202).

[7] سنن النسائي ح/ (1617)، صحَّحه الألباني وقال: حديث حسن، انظُر: المجتبى من السنن، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد – السعودية، الطبعة: الأولى 1420هـ – 1999م (3/ 208).





بيانُه -إن شاء الله-.

وثالثُ الأساليب التي دلَّت على ألوهيَّته -سبحانه- ما كان في سياق الثناء والتمجيد لله -جلَّ وعلا- وبيان استحقاقه للعبوديَّة، منها: قوله ﷺ: "اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ"[8]، وأيضًا قوله: "اللهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ"[9].

وتدُل نصوص الاستعاذة أيضًا على جُملة من العبادات القلبيَّة، وهي ما سيتمُّ بيانُها تفصيلًا في المبحث الثاني -إن شاء الله-.

○ المسألة الثالثة: تحقيق توحيد الألوهية من خلال الاستعاذة:

إنَّ من حق الله على العبيد أن يوحِّده ولا يُشركوا بعبادته أحدًا؛ وذلك بالتوجه والافتقار إليه، ودوام سؤاله، واللِّياذ به، والاطِّراح بين يديه.

ومن جملة العبادات الواجب إفْراده بها -سبحانه- هي العباداتُ القلبيَّة التي يُشترَط لقَبولها من العبد أن تكون خالصةً لله؛ حتى يتحقَّق من طريقها التوحيد الكامل له -سبحانه-.

---

[8] البخاري ح/ (6306).

[9] مسلم ح/ (2717).



وعبوديَّة الاستعاذة تشمَل التعبُّد القولي وهو الدعاء، وتشمَل التعبُّد القلبي، وقد قال ابن سعيد الغَرْناطي -رحمه الله تعالى-: "مَن استعاذ بالله صادقًا أعاذه، فعليك بالصدق، أَلَا ترى امرأةَ عمران، لما أعاذت مريم وذُريتها عَصَمَها الله، ففي الحديث الصحيح أنَّ رسول الله ﷺ قال: "ما من مولودٍ إلا نَخَسَه الشيطانُ فيَستهلُّ صارخًا إلَّا ابنَ مريمَ وأُمَّه"[10]"[11].

ومن جملة العبادات القلبيَّة المتحققة بالاستعاذة: الخوف والتوكل والرجاء.

فالخائفُ من والله وعذابه وعقابه، يستعيذُ بالله منها بأن يصرِف عنه أسبابها المؤدية إليها.

والمتوكِّل عليه يدعوه ويستعيذُ به أن يكفيَه الشرور والآفات، وجميع منغِّصات الحياة، فيسير في راحة، وطمأنينة، وسَعة.

والذي علَّق رجاءه بربه يتوسَّل إليه رجاءً بما عنده من العفو والغفران، وطمعًا بمَنِّه وإحْسانه على عبده بأن يرفَعَ عنه ما يُلِمُّ به من الهموم والأحزان.

فإذا استشعرَ العبدُ ذلك، وعمِل به يكون قد حقَّق توحيد الألوهيَّة، وعبَدَ اللهَ حقَّ عبادته، وانقادَ إلى ربه بقلبه محققًا له جملةً من الأعمال القلبيَّة الواجب صرفُها له وحدَه سبحانه.

---

[10] مسلم ح/ (2366).

[11] التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جُزَي، تحقيق: عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، 1416ه، (1/ 47).



وقد ورَدَ عن النبي -عليه الصلاة والسلام- أنه استعاذ بالله سبحانه وتعالى من دقيق الأمور وجَليلها، سواءٌ ما كان متعلقًا بأمور الدِّين أو الدنيا، محققًا بتلك الاستعاذة التألُّه لله -جلَّ وعلا- مفتقرًا إليه، راجيًا بما عنده، وقد قيل: "ليستشعر العبدُ الافتقارَ إلى ربه في كل أمر وإنْ دقَّ"[12]، فجاء عن النبي أنه استعاذَ من عذاب النار، وفتنة النار، ومن فتنة الدنيا، وعذاب القبر، ومن وساوس الشيطان وشره، واستعاذ من الهموم والأحزان والأمراض، وهذا كلُّه فيه مزيدُ عبادة وتضرُّع وافتقار وتذلُّل لله سبحانه وتعالى.

بذا تبيَّن ارتباطُ الاستعاذة بتوحيد الألوهيَّة؛ إذ هي من العبوديَّة التي لا تُصرَف إلا لله وحدَه -جلَّ جلاله- لما فيها من التذلُّل والافتقار، وتعلُّق القلب وانقياده؛ وذلك مما لا ينبغي إلا للإله الواحد المتعال.

---

[12] التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن، تحقيق: دار الفلاح العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق – سوريا، 1429هـ، (29/ 309).





المطلب الثاني

دَلالة نصوص الاستعاذة على العبادات القلبية

العبادة القلبيَّة هي أصلُ التألُّه لله ﷻ فالقلب هو منبَع الإفراد والإشراك، ومنه يكون الحُب والخوف والتوكل والرجاء، ومقصودُ العبادات كلها إنما هو عملُ القلب، وإقباله على الله سبحانه[13]، قال ابن تيميَّة: "والعبادة أصلُها عبادة القلب المستتَبِع للجوارح؛ فإن القلب هو المَلِك، والأعضاء جنوده"[14].

قال سُلَيمان آل الشيخ في تعريف توحيد الألوهيَّة: هو "المبنيُّ على إخلاص التألُّه لله تعالى، من المحبَّة، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والدعاء لله وحدَه، ويَنبَني على ذلك إخلاصُ العبادات كلها ظاهرها وباطنها لله وحدَه لا شريكَ له، لا يجعَل فيها شيئًا لغيره، لا لمَلَك مقرَّب، ولا لنبي مرسَل، فضلًا عن غيرهما"[15].

وعلى قَدْر ما في القلوب تثقل وتضعف الموازيين يومَ القيامة، فمن عبَدَ الله مخلصًا له، متوكلًا عليه، راجيًا ما عندَه؛ فقد فاز وأفلح، وإذا صلَحَ القلبُ صلَحَ سائر العمل؛ فقد قال -عليه الصلاة والسلام-: "أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وهي القلب"[16].

---

[13] انظُر: كتاب التوحيد المسمى التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد، عمر العرباوي، 1404هـ – 1984م، (256).

[14] مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (2/ 6).

[15] تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، لسليمان آل الشيخ، (ص19).

[16] البخاري ح/ (52).





ولما كان لأعمال القلوب ارتباطٌ عظيمٌ بعبوديَّة الاستعاذة، أوْرَدْتُ بيانَها في المسائل الثلاث الآتية: وهي: دَلالة نصوص الاستعاذة على عبوديَّة الخوف، ودَلالة نصوص الاستعاذة على عبوديَّة التوكل، ودَلالة نصوص الاستعاذة على عبوديَّة الرجاء.

وقد كان اختياري لهذه العبادات الثلاث؛ لِما لها من ارتباط ظاهر أكثر من غيرها من العبادات القلبيَّة الأخرى.

المسألة الأولى: دلالة نصوص الاستعاذة على عبودية الخوف.

الخوف من الله -عزَّ وجلَّ- عبادةٌ يتقرَّب بها العبد إلى ربه في جميع أحواله، فيقودُه خوفُه من ربه إلى فِعل الخيرات، وتَرْك المنكَرات، والتعبُّد إلى الله بالإحسان، فيعبُده كأنه يراه سبحانه، وقد أثْنى الله -جل وعلا- على أنبيائه بقوله: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: 90]، ووجَّه أمرَه لعباده بقوله: ﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [الأعراف: 56].

ونصوصُ الاستعاذة بالله فيها امتثالٌ لأمره بدعائه سبحانه؛ إذ إنَّ الاستعاذة ما هي إلا أدعيةٌ وسؤالاتٌ، وهي مشتملةٌ بدلالاتها على عبوديَّة الخوف، من ذلك ما كان منها متعلقًا بالاستعاذة من عذاب البرزخ، وعذاب النار، وفتنة النار.

قال -عليه الصلاة والسلام-: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ"[17].

---

[17] البخاري ح/ (6376).





فاستعاذتُه من فتنة النار وعذابها هي استعاذةٌ من الضلال الموجِب لهذا العقاب وهذا المصير[18]، واستعاذ أيضًا من فتنة القبر وما قد يحصُل للمرء فيه من العقاب والعذاب، والمراد بفتنة القبر: الضلالُ عن صواب إجابة الملَكَين فيه، وعذاب القبر: هو ضربُ مَن لم يوفَّق للجواب بمطارق من حديد، وتعذيبُه إلى يوم القيامة[19].

ومثلُها في الدَّلالة استعاذتُه -عليه الصلاة والسلام- من هَوْل أحوال يوم القيامة، كاستعاذته من ضيق المقام يومَ القيامة، واستعاذته من شر حَر النار، وغيرها[20].

ومن الاستعاذات الدالَّة على عبوديَّة الخوف ما كان المستعاذُ منه متعلقًا بفتن الدنيا؛ فقد قال -عليه الصلاة والسلام-: "وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ"[21]، فالخوفُ من الله يدفعُ العبدَ إلى الاستعاذة من الافتتان بالدنيا، وما يوصل له من الإخْلال بالدين، والتقصير بالعبادات، والانحراف عن الطريق السويِّ السليم، فيؤدي ذلك إلى غضب الله على عباده، واستحقاقهم عذابه وعقابه، قال -سبحانه-: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه: 81].

ومن فِتَن الدنيا الوارد الاستعاذةُ منها فتنة المسيح الدجَّال؛ فقد ورَدَ من استعاذته -عليه الصلاة والسلام- أنْ قال: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ فِتْنَةِ

---

[18] انظُر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس القرطبي، (7/ 33).

[19] انظُر: المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

[20] سيأتي بيان دلالاتها في الفصل الثالث إن شاء الله.

[21] البخاري ح/ (6370).





المَسِيحِ الدَّجَّالِ"[22]، ففتنتُه من أعظم الفتن وأشدها، لما يحصُل عند خروجه من بلاء وأذيَّة للمسلمين، وعلى الإنسان ألَّا يغترَّ بمعرفته لبعض أوصاف الدجَّال بأن ذلك يمنَعُه من اتِّباعه والافتتان به، بل ينبغي للمسلم أن يُكثر من الاستعاذة من الفتن عمومًا، ومن فتنة المسيح الدجَّال على وجه الخصوص[23].

○ المسألة الثانية: دلالة نصوص الاستعاذة على عبودية التوكل.

التوكل هو: "صدقُ اعتماد القلب على الله -عزَّ وجلَّ- في استجلاب المصالح، ودفْع المضارِّ من أمور الدنيا والآخِرة كلها"[24]، وهو اعتمادٌ لا يُنافي البذل والعمل والأخْذ بالأسباب، وقد قال الله ﷻ في وصْف المؤمنين: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: 2]، وقال -سبحانه- آمِرًا لهم: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: 23]، قال ابن تيميَّة عن التوكل: "فإن التوكلَ على الله واجبٌ من أعظم الواجبات، كما أن الإخلاص لله واجبٌ، وحُب الله ورسوله واجبٌ"[25].

ومن وسائل تحقيق عبوديَّة التوكل على الله -سبحانه- ما كان فيه صدقُ التوجُّه

---

[22] البخاري ح/ (6377).

[23] انظُر: الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، لعبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، مكتبة الرشد، (241).

[24] جامع العلوم والحكم، لابن رجب، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة: السابعة، 1417هـ - 1997م، (2/ 497).

[25] مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (7/ 16).





إلى الله، والثقة بتدبيره، وما أعدَّه لعبيده في مستقبلهم الديني والدنيوي، ويتحقَّق ذلك بالتجاء العبد إلى ربه داعيًا ومستعيذًا به أن يكفيَه شرَّ كل ما يتعارض مع توكله واستسلامه، وبذا كان للاستعاذة علاقةٌ لا تنفصِل عن عبوديَّة التوكُّل.

ومن أوْجُه ارتباط الاستعاذة بالتوكل ما ذكَرَه ابن القيم في وصْفه للغضب، وأنه مركَّب شيطاني يستدفعُه المرءُ بالاستعاذة مع الإيمان والتوكُّل، فيُبطل عمل الشيطان، قال -سبحانه-: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: 99][26].

فيستعيذُه من العجز والكسل كما استعاذ -عليه الصلاة والسلام- بقوله: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ"[27]، ثم يسيرُ في دنياه لقضاء حوائجه، متعبدًا لربه متوكلًا ومعتمِدًا عليه في جَلْب الرزق والخير والبركة، ومستبشرًا بالقَبول والتوفيق.

ويستعيذُه من الفقر بقول: "اللهُمَّ إني أعوذُ بكَ مِن الفَقرِ"[28]، ويسعى في العمل، ويَجِدُّ فيه باذلًا للأسباب مع كمال الاعتقاد، وصِدق التوكل أن الخيرَ كله من عند الله، والرزق من بين يديه يبسُطه لمَن يشاء من عباده.

ويستعيذُ من الخُبث والخبائث فيقول: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الخُبُثِ وَالخَبَائِثِ"[29]، ومن والشياطين فيقول: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الشَّيْطَانِ

---

[26] انظُر: إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان، (1/ 169).

[27] البخاري ح/ (6367).

[28] سنن أبي داود ح/ (1544)، صحَّحه الألباني، انظُر: صحيح سنن أبي داود (5/ 269).

[29] البخاري ح/ (142).





الرَّجِيمِ"[30]، ويستعيذُ من كل شرٍّ مخلوقٍ بقوله: "أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ"[31]، ثم يُقدم على ما نوى لا يردُّه عنه طِيَرة ولا شِرك؛ إذ كلُّها من عمل الشيطان ووساوسه، فيتوكَّل على ربه في كل أحواله.

وهكذا تأخُذه الاستعاذةُ إلى التوكل على الله، وعدم الخوف مما سواه.

قال ابن تيميَّة: "العبد مفتقرٌ دائمًا إلى التوكُّل على الله والاستعانة به كما، هو مفتقرٌ إلى عبادته"[32].

وفي نصوص الاستعاذة دلالات التوكُّل عميقة وبليغة؛ إذ إن الاستعاذة بذاتها توكُّل، فكلُّ مستعيذٍ بالله متوكلٌ عليه في طلب المنافع وصرف المضارِّ، ولا يوفَّق لذلك إلا المؤمن، وقد قال سعيد بن جُبَير: "التوكُّلُ على الله جماعُ الإيمان"[33]، وقد قال -سبحانه- في وصْف عباده المؤمنين: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: 2].

كما أن الاستعاذة مع التوكُّل تكون استعانة بالله -جلَّ وعلا- "ومتى اعتمد القلبُ على الله، ولم يستسلم للأوهام، وتوكَّل على الله، ووثِقَ به، اندفَعَت عنه الهموم والغموم، وكثير من الأسقام القلبيَّة والبدنيَّة، وحصَلَ للقلب من القوة والانشراح والسرور ما لا يُمكن التعبيرُ عنه، فالمتوكِّلُ على الله قويُّ القلب، لا

---

[30] سنن ابن ماجه ح/ (807)، ضعَّفه الألباني، انظُر: هداية الرواة (1/ 378).

[31] مسلم ح/ (2706).

[32] مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (1/ 56).

[33] السُّنة، لعبد الله بن أحمد بن حنبل، تحقيق: محمَّد سعيد القحطاني، دار ابن القيم، الطبعة: الأولى، 1406ه – 1986م، (1/ 361).





تُزعجه الحوادث لعِلمه أن ذلك من ضعف النفْس، ومن الخَوَر والخوف، فهو يعلَم أن الله ﷻ قد تكفَّل لمَن توكَّل عليه بالنصر والتأييد والكفاية، فهو يثِق بالله، ويطمئن لوعده، فيزول همُّه وقلقُه، ويتبدَّل عُسرُه يُسرًا، وتَرَحُه فرحًا قال -تعالى-: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: 3]"[34].

المسألة الثالثة: دلالة نصوص الاستعاذة على عبودية الرجاء.

يُراد بالرجاء: "تعلُّق القلب بمحصول محبوب في المستقبل"[35].

قال ابن عثيمين -رحمه الله-: "الرجاءُ طمعُ الإنسان في أمرٍ قريب المنال، وقد يكون في بعيد المنال"[36].

والرجاء عبادةٌ قلبيةٌ ينبغي صرفُها لله وحدَه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: 218].

وهي مقترنةٌ بعبوديَّة الخوف، فالخوف والرجاء قرينان لا ينفكَّان عن بعضهما.

قال ابن تيميَّة: "والخوف المقصودُ منه الزجرُ والمنعُ من الخروج عن الطريق، فالمحبَّةُ تُلقي[37] العبد في السير إلى محبوبه، وعلى قَدْر ضَعفها وقوَّتها يكون سيرُه إليه، والخوف يمنعُه أن يخرُج عن طريق المحبوب، والرجاء يقودُه، فهذا

---

[34] صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، لحسين بن محمَّد المهدي، دار الكتاب، طبع عام: 2009م، (2/ 14).

[35] التعريفات، للجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1403هـ - 1983م، (109).

[36] شرح ثلاثة الأصول، لابن عثيمين، (ص57).

[37] في الأصل (تلقى).



أصلٌ عظيمٌ يجبُ على كل عبد أن يتنبَّه له؛ فإنه لا تحصُل له العبوديَّة بدونه، وكل أحد يجب أن يكون عبدًا لله لا لغيره"[38].

ولعبوديَّة الرجاء صورٌ عديدةٌ، ورَدَت في نصوص الاستعاذة بالله -عزَّ وجلَّ- من ذلك رجاءُ العبد من ربه أن يغفرَ له ذنوبه، ويكفيَه شرَّها؛ فقد ورَدَ عن النبي ﷺ أنه كان يقول: "أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ"[39]، فكان من هَدْيه وتَوْجيهه لأُمَّته ألَّا يَقنَطوا من رحمة الله، بل يعيشوا بين الخوف والرجاء، ويكونوا وسطًا بينَهما، فيكونوا ممَّن قال الله فيهم: ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة: 16]، فلا يُغَلِّبوا الخوف فيقنطوا، ولا يُغَلِّبوا الرجاء فيُسرفوا على أنفسهم بالمعاصي.

ومن دعائه واستعاذته -عليه الصلاة والسلام- أن قال: "اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ، وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ"[40]، فعلى العبد أن يدعو ربَّه، ويُحسن الظن به، ويعتقد اعتقادًا جازمًا أنه سيغفرُ له، ويتجاوز عن سيئاته، ولا يكون ممَّن يتمَنَّى على الله الأماني، قال الشوكاني: "وقد استعاذ ﷺ من شر أعماله التي قد عمِلها، ومن شر أعماله التي سيعمَلها...، وهذا تعليمٌ منه ﷺ لأُمَّته ليَقتدوا به، وإلا فجميعُ أعماله سابقها ولاحقها كلُّها خيرٌ لا شرَّ فيها، وجميعُ ما يعمَله[41]

---

[38] مجموع الفتاوى لابن تيمية، (1/ 95).

[39] البخاري ح/ (6306).

[40] مسلم ح/ (2716).

[41] هكذا في الأصل، والصحيح: (يعمله).

سابقه ولاحقه، هو ميسَّرٌ لخيره، ومعصومٌ من شره"[42].

قال -تعالى-: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: 53]، إذنْ فعلى المؤمن أن يخاف خوفًا لا يصِل به إلى سوء الظن بالله؛ لأنه يرجوه، ويرجو رجاءً لا يجعَله يتساهَلُ في المعاصي لأنه يخافُه، فإن رَحِمَه الله فبفضله، وإن عذَّبه فبذنبه، ودوام الاستعاذة بالله تَقِي الإنسانَ من حال القنوط.

ومن دلالات نصوص الاستعاذة على عبوديَّة الرجاء دعاؤه ﷺ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ"[43]، هذه الاستعاذةُ فيها إقبالٌ على الله، وتعلُّقٌ به ومناجاتُه، رجاءَ أن يكفيَه كلَّ ما استعاذ منه من عذابات وفِتن، ولا يكون العبد راجيًا إلا إذا بذَلَ الأسباب بفعل الطاعات، وتَرْك المنكَرات، مترقبًا رحمة الله -تعالى- وكرمه، وإحسانه لعبده، وإن لم يفعَلِ الأسباب كان متمنيًا، قال -سبحانه-: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (123) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: 123-124]، فكانت هذه الاستعاذةُ منه ﷺ رجاءَ الوقاية والكفاية.

ومن الدلالات أيضًا استعاذتُه في قوله: "اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ،

---

[42] تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، للشوكاني، (420-421).

[43] البخاري ح/ (1377).

وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ"[44]، فهذه الاستعاذة منه ﷺ ترتبطُ بالرجاء إذا قرَنَها العبد بالشكر لله، والحمد له، بذِكر إحسانه وتفضُّله وتنعُّمه عليه، وتكون رجاء إذا أحسَنَ ظنه بربه، وتيقَّنَ أن الله سيُديم عليه النِّعم، ويَمدُّه بالصحة والعافية ودوام الراحة والرضا، وقد أكَّد رسول الله -عليه الصلاة والسلام- على أهميَّة حُسن الظن بالله، حتى أنه قال: "لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللهِ الظَّنَّ"[45].

وكل عبدٍ محتاجٌ إلى الرجاء، فهو بينَ ذنبٍ يرجو مغفرتَه، ومرضٍ يرجو بُرْأه، وهمّ يرجو زوالَه، ورزقٍ يرجو مَنالَه، وعملٍ يرجو قَبولَه، ونارٍ يرجو النجاةَ منها، وجنَّةٍ يرجو الفوزَ بها.

بهذا تبيَّن أن العبادات القلبيَّة هي أساس التعبُّد والالتجاء لله سبحانه، فالمستعيذُ بالله مخلصًا قد تحقَّق في قلبه الخوفُ والتوكلُ والرجاءُ.

---

[44] مسلم ح/ (2739).

[45] مسلم ح/ (2877).





المطلب الثالث

ثمرات تحقيق توحيد الألوهية من خلال الاستعاذة

إنَّ لتحقيق توحيد الألوهيَّة من خلال عبودية الاستعاذة آثارًا عظيمةً، وثمرات عديدة تؤثِّر في حياة العبد وعاقبته؛ لما فيها من التقرُّب إلى الله، ومزيد التعلُّق به، وحُسن عبادته، واعتراف بضعف العبد أمام قُدرة ربه، ومن هذه الثمرات:

أولا: الالتجاء إلى الله بالاستعاذة سبب لتحقيق العبودية الكاملة لله ﷻ.

الاستعاذة عبادةٌ ظاهرةٌ من طريق أنها طلب ودعاء والتجاء، وعبادةٌ باطنةٌ من طريق أن فيها توجُّه القلب وسَكَنه واضطراره وحاجته إلى هذا المستعاذ به، واعتصامه به، وتفويض أمر نجاته إليه[46]، وتحقيق التوكُّل والرجاء والخوف منه سبحانه، قال ابن تيميَّة: "ومن توحيد الله وعبادته: التوكُّل عليه، والرجاء له، والخوف منه، فهذا يُخلَّص به العبدُ من الشرك"[47]، وقال في موطنٍ آخَر: "هذه الأعمال جميعُها واجبةٌ على جميع الخَلْق المأمورين في الأصل باتفاق أئمَّة الدين"[48]، فبتحقيق عبوديَّة الخوف والتوكل والرجاء يكون العبدُ قد عبَدَ الله حقَّ عبادته ظاهرًا وباطنًا.

---

[46] انظُر: التوضيح الرشيد في شرح التوحيد المذيل بالتفنيد لشبهات العنيد، خلدون بن محمود بن نغوي الحقوي، نشر المكتبة الشاملة، 1435ه، (87).

[47] مجموع الفتاوى، لابن تيمية (1/ 53).

[48] التحفة العراقية، لابن تيمية، المطبعة السلفية، الطبعة: الثانية، 1339ه، (37).



ثانيًا: التعبد لله بالاستعاذة سبب في حفظ الله للعبد.

ففي الاستعاذة تعلُّقٌ لقلب العبد بالله، ودعائه وسؤاله ورجائه، فيسأله على الدوام أن يُعيذَه من الشيطان ووساوسه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ (1) مَلِكِ ٱلنَّاسِ (2) إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ (3) مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [الناس: 1-4]، ويستعيذُ منه بقوله: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ"[49]، فيمنعُه الله منه، ويَحول بينَه وبينَ عبده، ويصرِف عنه أذاه، ويَحفظه من شرِّه ووسواسه، ويستعيذُه من الشرور عامَّة، من الأمراض والأوباء والحيوانات، وجميع الأحوال، فيحفظُه الله منها، ويَصونُه من شرِّها وأذاها، بدليل قول رسول الله للرجُل الذي لدَغَته العقربُ: "أمَا لو قُلتَ حينَ أمسيتَ: أعوذُ بكلماتِ اللهِ التامَّاتِ، من شرِّ ما خَلَقَ، لم تضرَّكَ"[50].

ثالثا: عبودية الاستعاذة سبب لحصول السلامة في الدنيا والآخرة.

عندما يُحقق العبدُ لربه توحيدَ الألوهيَّة في استعاذته مما يَخْشاه ويَخافه، ويكون متوكلًا لا يَخشى غيرَ ربه، خائفًا غير مرجئ، وراجيًا غير قانطٍ؛ تحصُل حماية الله له، ورفْع البلاء عنه، والنصر والفتح والتوفيق والتسديد، كما قال -عليه الصلاة والسلام- لابن عبَّاس: "إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ

---

[49] سنن ابن ماجه ح/ (807)، ضعَّفه الألباني، انظُر: هداية الرواة (1/ 378).

[50] مسلم ح/ (2709).



اللهُ عَلَيْكَ"[51].

رابعًا: الاستعاذة بالله سبب في مغفرة الذنوب.

فقد ورَدَ في نصوص الاستعاذة الْتِجاءاتٌ بالله أن يغفرَ للعبد ويتجاوَز عنه، كما في قوله ﷺ: "أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ"، فهذا من النصوص المطهِّرة للعبد من ذنوبه والمكفِّرة لسيئاته، بدليل قوله -عليه الصلاة والسلام-: "مَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ"[52].

خامسا: تحقيق توحيد الألوهية من خلال الاستعاذة كوسيلة إلى تحقيق توحِيد الأسماء والصفات.

توحيد الألوهيَّة يوجِب على العبد مزيدًا من التعرف على أسماء الله الحُسنى وصفاته العُلى، فهو يتوجَّه إلى الله داعيًا خائفًا متوكلًا راجيًا متعلقًا بأسمائه وصفاته التي تبعَث في نفْسه استشعارَ قُرب ربه، وقُدرته، ومعيَّته، وعظيم سُلطانه، فالخائف يعتقدُ أن ربَّه عليم، سميع، رقيب، والمتوكِّل يعتقد أن ربَّه قدير، رؤوف، حكيم، والراجي يعتقدُ أن ربَّه رحيم، توَّاب، غفور، وغيرها من الأسماء والصفات التي سيأتي بيانُها في المبحث الثالث.

فهذه خمسُ ثمرات تتحقَّق للعبد عند استعاذته بالله، مع استشعاره لهذه الاستعاذة مخلصًا لربه، متوجهًا لخالقه بكامل ذُله وافتقاره.



---

[51] سنن الترمذي ح/ (2516)، صحَّحه الألباني، انظُر: صحيح الجامع الصغير وزياداته (2/ 1318).

[52] البخاري ح/ (6306).





المحتويات

